التنوير الهجائي

كان التنوير الهجائي الذي يقترب من السخرية هو من الاشياء المميزة لفترة الانتقال ، بحيث نجد أن الكثير من الكتاب قد انتهج اللهجة الهجائية في انتاجه ، بعد أن كان قد اختط لنفسه منهجا مختلفا منذ بداية دخوله هيكل الادب . ومن الامثلة على ذلك ، دافيد شحر الذي بدأ بالكتابة الغنائية الى حد ما ، التي تغلغلت في الاركان المظلمة والخاصة في احياء القدس ــ « عن الاحلام » (١٩٥٥) واتجه في نهاية الخمسينات الى الكتابة الساخرة (في سياق تجربته الادبية حاول العودة مرة أخرى الى نوع أدبي آخر) . وروايته « شهر العسل والذهب » (١٩٥٩) ليست من الكتابات الممثلة للعصر ولكنها عرضية الى حد ما : من وجهة نظر معينة تستمر هذه الرواية من حيث انتهى ميجد في « حادثة الابله » . ان حمقى ميجد يظلون مخلصين لشريعة الماضي ، التي هي بمثابة شريعة حياة لمن يتمسكون بها . وحتى لو سلط سيف حاد على رقابهم ، فانهم لا ييأسون من القيم ، وعلى الرغم من المحن القاسية التي تمر بهم ، فان بلاهتهم تبقى بمثابة حاجز بينهم وبين عصرهم ، بينهم وبين الواقع الجديد المتناقض مع قيمهم البالية . ان « البطل القاص » عند دافيد شحر قد تخلص من نير « النبوءة » . لقد تحرر من النبوءات عن « العالم الاخضر » أو من رغبة الانتماء . والبطل القاص لا يقف عند جو الفساد الذي تفشى في هذا المجتمع في نهاية الخمسينات ، بل يسبح في مستنقعه مثل الضفدعة ، ويجني المنافع. وتحكي الرواية حكاية شاب قضى ثلاثة أشهر في أحد الكيبوتسات ثم تركه ليذهب الى القدس ويتعلم في جامعتها . وفي القدس يقيم في منزل عمته ويسرق خاتمها لكي يقضي شهر « عسل » مع خادمة المنزل في فندق فخم ، من تلك الفنادق التي يتردد عليها أبناء الطبقة الراقية . وتنتهي هذه العملية بخيانته « للخادمة » حينما اتيحت له امرأة أجمل منها ، وتخونه هذه المرأة بدورها حينما تجد رجلا أيسر منه ماديا. والبطل في هذه القصة يرفرف مثل الفراشة بين عوالم ثلاثة، يمثل كل واحد منها شريحة من الوجود الاسرائيلي: يوسفة ــ « الصهيونية » تلميذة حركة الشباب الصهيوني ، التي تمارس العهر كما لو كان واجبا قوميا ، وكاترين التي تبيع جسدها لكل من يطلبه ويدفع المقابل ، والتي تذهب في النهاية وراء ليون شبيتسماخر الى حيث توجد النقود ــ الى ألمانيا ، وسارة أنيت ، الغربية الارستوقراطية ، التي تجعل البطل يذوق طعم الحب الجسدي الشهواني المثير. وفي تنقل البطل القاص من سرير الى سرير ، يقوم بذبح كل الابقار المقدسة ويذبح كل مقدسات الوجود في الحياة الاسرائيلية : انه لا يدافع عن حياة الكيبوتس الوهمية التي يرى انها تشبه حياة الثكنة العسكرية (« شهر العسل والذهب » ص ١٦) ، ويكفر بالقيمة الاخلاقية للعمل اليدوي (ص ٤٠) ، ويتمرد على القومية اليهودية (ص ١٢٣) ، وينفر من العمل المكتبي المبهر (« الموظف زيرح تدريخ » ص ٧٩ ــ ٨٦) ، ويشمئز من السماسرة والوسطاء بشتى أنواعهم (شترويتمان وبرودسكي العجوز ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩) . انه يرفض كل القيم التي قامت عليها الحركة الصهيونية ، والتي هي عماد الحياة الاجتماعية في اسرائيل . وشخصية البطل القاص تحاول ان تعوي مع الذئاب وأن تنحط مع المنحطين . والرواية في حد ذاتها أقل أهمية كعملية تفكير منها كظاهرة اجتماعية ثقافية تميط اللثام عن مراحل الانتقال الايديولوجية والادبية البنيوية من الادب الجاد (تبعا لمعايير الالتزام التي تضفي عليه صفة الادب المجند) القاطع في تقديراته الخاص « بجيل البلاء » الى الفترة الحديثة ، التي فقدت يقينها وارتكازات ثقتها وأصبحت لا تعرف ما هو الحق وما هو الكذب . ان شحر يرفض بالفعل شخصية فليكس كارول الاسرائيلي ، الذي يرتقي الى أعلى درجات السلم الاجتماعي الاسرائيلي ، كما يرفض المجتمع الذي يفتح أبوابه أمامه . وهذا الجمع بين الفاسد والمدمر للفساد ، الذي يكيل